



(٩)

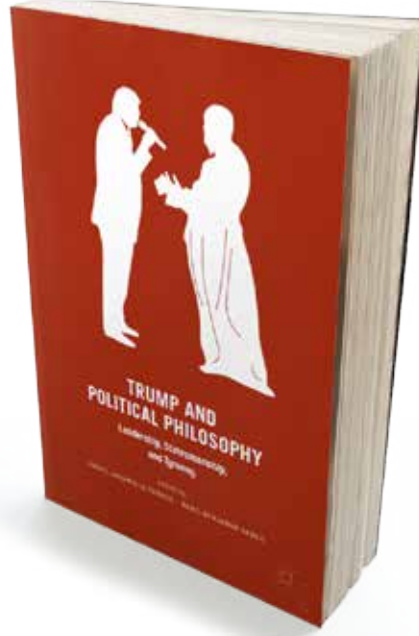
أرأيت لو أن كارل شميث نظر إلى ترامب، ما الذي عساه أن يقول عنه؟

فضل الباحث فيصل محمد التركيز على الفكر السياسي والقانوني الألماني كارل شميث الذي كان قد شدد على أن كنه السياسة إنما يكمن في التفرقة بين الصديق والعدو. فهلا أمكن تطبيق هذا المعيار على أنظار ترامب وتصرفاته، لا سيما على منع دخول بعض رعايا الدول الإسلامية إلى أمريكا؟ حسب المؤلف، تتجسد في إدارة ترامب كل ملامح الدكتاتورية التي أوكل إليها أمر البلاد والعباد بأن تتخذ القرارات الحاسمة في حال الاستثناء. وهذا يؤهل الرئيس لكي يداري حكم القانون. لكن المؤلف لا يدين هنا ترامب، وإنما يجد أنه حين يتصرف تصرف ديكتاتور، فإنه يستفيد من تقليد دستوري أمريكي عريق يتناغم مع فكرة الديكتاتور الموكول إليه التصرف في حال الاستثناء على طريقة ما ذهب إليه شميث. أكثر من هذا، منذ أن تحدث هاملتون عن سلطة تنفيذية «شيطانية» شجع ذلك الرئاسة على ادعاء حقها من جانب واحد في ممارسة القوة ضد العدو. وينهي فيصل محمد مقاله بنبرة تشاؤمية: إن ترامب إلا تمهيد لما سيأتي، وما سيأتي هو انتصار القوى الرجعية التي تدعي أن لها السيادة العزمية القرارية لخير الشعب ومصالحته.

وعلى الرغم من إيمان ناشري الكتاب بضرورة رسم صورة متوازنة لترامب بين المنتصر له والمنتصر ضده - الشيء الذي لم يتحقق - فإنهما يريان أن من واجب الباحثين، بوسمهم باحثين ومواطنين مهتمين بالشأن العام، توضيح الموقف من زعامة ترامب. وفي نظرهما، فإنه لئن كان الفكر السياسي القديم، الذي يركز على الفضيلة، قد صور الطغيان بحسابه دالة على الطبع الطغياني لصاحبه، فإن الفكر السياسي الحديث وما بعد الحديث يميل إلى التأكيد على أن نزوع الطاغية إلى فرض أهداف سياسية إنما هو أمر مضاد للمصلحة العامة. وبناء عليه، يؤمنان بأن ترامب يملك روح طاغية بالمعنيين معا، وأنه يتأرجح، في أرسومة الوغد والانشقائي والوطني، بين الوجهين الأول والثاني. ويتجلى وجه الطاغية فيه في أمرين: شخص عبد لشهواته وجشعه غير قادر على كبح جماح نفسه، وديماغوجي يذهب بعيدا في تحقيق شهواته إلى الشهرة والثروة والسلطة. وبعد، أرأيت لو أن حالة ترامب عرضت على أبي حيان التوحيدي؟ إذن لكان اكتفى أنها بالإشارة إليه والقول. كما قال في رسالته عن الصداقة والصديق. «وحب الجاه، وحب الرئاسة، وحب المال مهالك الخلق أجمعين».

- الكتاب: «ترامب والفلسفة السياسية: الزعامة والقيادة والطغيان»
- المؤلف: كتاب جماعي تحت إشراف أنجيل جاراميلو توريز ومارك بنيامين سيبيل
- الناشر: بالخريف ماكميلان، الإنجليزية، 2018م
- عدد الصفحات: 328 صفحة

* أكاديمي مغربي



«النخبة»: أي منتفض ضد أهل التدبير. فمع ترامب، ها هي أمريكا تعود إلى عالم مكيافي حيث المزاجان السياسيان العامة والصفوة. عادا إلى التصادم من جديد.

(٧)

أرأيت لو أن ترامب التقى بروسو، كيف كان هذا سيعتبره؟ بناء على استلهام كاتب هذا الفصل صنافة روسوية. الوغد (الغوغائي المهرج)، والوطني، والانشقائي. يطرح السؤال: هل ترامب رجل غوغائي أناني يسعى إلى السلطان السياسي من أجل غرض شخصي (الغوغائي)؟ أم هو رجل سياسة نبهه يستعمل الخطابة بغاية الدفاع عن وطنه (الوطني)؟ أم هو رجل ديماغوجي داهية يستغل الجماهير بغاية فرض أجندته الأيديولوجية (انشقائي)؟ وحسب صاحب البحث، جوزيف ريزرت، لو عرض ترامب على روسو لوجد أنه لا يمكن أن يصير أبدا رئيسا؛ وذلك لافتقاده إلى التجربة ولفقدانه الفضيلة المدنية. وإنه ثمرة مرة لتلفزيون الواقع ورسائل التواصل الجماهيرية ورمز «أقول التجربة المدنية والفضيلة المدنية لدى الجمهور». على أن روسو، إن كان له أن يتعاطف مع الرجل، فقد يتعاطف مع نزعته الإقليمية غير الكونية، ومع ذلك سوف يرفض تبنيه «للمال والتجارة».

(٨)

أرأيت لو أن ترامب التقى بماكس فيبر، كيف كان، يا ترى، سوف ينظر إليه؟

من منظور فيبري يتوسل مفهوم «الكاريزما» لفهم السلطة، يبدو أنه لئن كانت كلينتون، في انتخابات 2016، قد مثلت الكاريزما المؤسساتية وهي في أزمته، فإن ترامب قد مثل الكاريزما الشخصية، لا سيما في تحديه النيوليبرالية التي فقد الكثير من الناس الثقة فيها. كلينتون ضد ترامب: كاريزما المؤسسة ضد كاريزما الشخص؛ مما يني عن أن هزيمة كلينتون مثلت هزيمة نزعة قومية مدنية أمريكية قائمة على الحرية والفردية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية الشعبية والمساواة ما بعد العرقية، وهي القيم التي شكك فيها ترامب.

المقالة كيف كان سقراط يعلم الناس الاعتدال، بينما ترامب لا يمكن أن يقال عنه إنه أفاد درسا من سقراط. وفي الختام يوحى المؤلف بأن الجهل والجشع والإفراط تجعل الإنسان غير مناسب لتولي الحكم، وكل هذه الصور تجعل قناع ترامب يسقط.

(٤)

أرأيت لو أن ترامب التقى بكونفوشيوس، كيف كان سينظر هذا إليه؟

ما الذي كان يمكن أن يفكر فيه كونفوشيوس لو أن ترامب عاش في زمانه؟ يرى جورج دون أن الجواب عن هذا السؤال أمر شديد التعقيد. وهو جواب يتشكل من شقين: ما الذي يمكنه أن يتحملة فيه؟ وما الذي لا؟ من جهة، كلا الرجلين يتقاسم مع غيره النزعة المحافظة بحسبانها جزءا من تكوينها الشخصي؛ لأن كليهما عاش أو يعيش في زمن يعده زمنا فاسدا، ويحن إلى العيش في زمن يعده زمنا عظيما. ومن جهة ثانية، على خلاف ترامب يركز كونفوشيوس على ما يسميه «التهذيب» من أجل تجاوز حالة الإنسان الطبيعية؛ إذ التثقيف أمر أساسي عند كونفوشيوس وعند تلامذته من الفلاسفة الصينيين من أمثال مانغسو وكسونزي، ومن ثمة حديث كونفوشيوس عن «تكوين الإنسان التام». بلغة يحيى بن عدي. بحسبانها تكويننا ضروريا لرجل السياسة. وبهذا يوحى الباحث بأنه لو نظر كونفوشيوس إلى ترامب لما عده إنسانا تاما، وإنما اعتبره إنسانا ناقصا؛ ولعده كما عد أوسكار وايلد اللورد دارلينغتون: «الرجل الذي يعرف ثمن كل شيء، ولكنه لا يعرف قيمة أي شيء».

(٥)

أرأيت لو أن الفارابي صادف في زمنه ترامب، ماذا كان سيقول عنه؟

في بحث «ترامب والفارابي والمجتمع المفتوح» يدعونا كريستوف كولمو إلى إجراء تجربة ذهنية نتخيل من خلالها ما الذي يمكن أن يكون فكر فيه الفارابي لئن هو عرض على أنظاره النظام الأمريكي بعامة ونظام ترامب بخاصة؟ أولا؛ سوف يصدم من نظام حكم تم فيه الفصل بين الكنيسة والدولة، بحيث أمسى لكل واحد منهما مجال تأثيره الخاص، كما سيصدم من كون حرية الكلام باتت مكفولة بالدستور. ثانيا؛ ميز الفارابي بين حاكم يهتدي بالفلسفة، وآخر لا يهتدي إلا بالتجربة. وفي هذه الحالة، يمكن للروية والدهاء أن يعوضا حاجة الحاكم إلى الفلسفة. والحال أن ترامب من النوع الثاني. إذ يوحى صاحب المقالة أن ترامب يبدو، من منظور الفارابي، من رجال السياسة الذين لا يحتاجون إلى الفلسفة؛ لأنه يملك الدهاء الكافي، لكن روية الرجل لا تدفعه إلى الدفاع عن غايات كونية (إنسانية) وإنما عن غايات خاصة (قومية).

(٦)

أرأيت لو أن مكيافي استقبل ترامب، ما الذي كان سيقول عنه؟ كتب غلادن ببيان مقالة «السياسة المكيافية والتدبير الحديث ويزوغ ترامب». ويرى فيها أن الجامع بين مكيافي وترامب إنما هو مفهوم «التدبير»؛ لكنه يلاحظ أن التدبير الحديث ما عاد تدبيرا سياسيا وإنما أمسى تدبيرا تجاريا. ومن هنا ينظر إلى ترامب وكأنه أمير مكيافي معاصر، متحالف مع «العامة» ضد



ترامب والفلسفة السياسية: الزعامة والقيادة والطغيان.. مؤلف جماعي

محمد الشبخ *

هذا كتاب أفته طائفة من الباحثين في الفلسفة يُمكن أن نطلق عليهم اسم «جماعة الأريتيين». و«الأريتيون» قوم يقوم منطق تفكيرهم على آلية الافتراض: أرايت لو أن... ولقد كان هؤلاء القوم مذمومين في الماضي، بتعلة أن تفكيرهم عث من الافتراضات لا صلة لها بالواقع. لكن، منذ أن لجأ إينشتاين إلى الاستعانة بالتجارب الذهنية -الافتراضية- في بناء نظرية النسبية، اكتسب التفكير الافتراضي احتراماً كبيراً، لا في العلوم الحقة وحدها وإنما في العلوم الإنسانية أيضاً. وهكذا بني الكتاب الذي بين أيدينا بناء منهجياً على الطرح الافتراضي التالي: هب (افتراض) أن أفلاطون وأرسطو والفارابي ومكيافلي وروسو وغيرهم كثير من الفلاسفة حشروا في زماننا هذا، ماذا عساهم أن يقولوا عن الرئيس الأمريكي الخامس والأربعين دونالد ترامب؟ أنكى من هذا، هب بالعكس أن آلة الزمن طوحت بهذا الرئيس إلى زمن هؤلاء الفلاسفة، ترى كيف كانوا سينظرون إليه؟

(١)

أرايت لو أن أفلاطون قدر له في الماضي أن يلتقي بترامب، ما الذي عساه أن يقوله عنه؟
الذي عند أفلاطون، أن ترامب قد يكون يمثل الضارق بين الفيلسوف والسوفسطائي؛ لئن كان شأن الفيلسوف أن يسعى إلى كشف الحقيقة، فإن السوفسطائي لا يهتم بالحقيقة وإنما يعنى بتوجيه الناس التوجيه الذي يريده، وباستغلالهم الاستغلال حتى يسمي رجلاً ثرياً ومشهوراً وقويماً. والحال أن ترامب من هذا الصنف من الحكام السوفسطائيين، لا تهمة الحقيقة، وإن هو اهتم بها اهتم بها اهتمام الطاغية: الحقيقة هي ما يراه هو. شأنه أن ينشئ بديلاً عن الواقع، وذلك بجعله الحقيقة تصير هي إرادته للسلطة.

(٢)

أرايت لو التقى ترامب بأرسطو في الزمن القديم، ماذا عسى هذا أن يقول عنه؟
سعى أرسطو إلى جعل الفيلسوف يفهم ما الذي يعنيه الديماغوجي: ما طبيعة حكمه؟ وكيف يتم انتخابه؟ وقد وجد أن الطغيان يبدأ عندما تنحط الديمقراطية إلى ديماغوجية. وحال ترامب، حسب ما تذهب إليه لسلي روبين ناطقة بلسان أرسطو، يستجيب إلى هذه المواصفات التي وضعها أرسطو للديماغوجي: يقسم الناس إلى أصدقاء وأعداء، ويسعى إلى الإفراط في قراراته بدل الاعتدال، وإلى التسرع عوض الروية.

(٣)

أرايت لو أن كزنيوفانس التقى في حياته بترامب، ما الذي كان سيقول عنه؟
في بحث أشوك كارا، نجد كزنيوفانس وقد رسم صوراً لثلاث شخصيات سياسية: غلوكون ومينون وهيرو قابلة لكي تتجسد فيها الشخصيات السياسية المعاصرة بمختلف أوجهها. غلوكون رجل جاهل إلى أقصى حد، لكنه طموح بما لا مزيد عنه، وهو فاقد لأدنى فكرة عن كيف ينبغي أن يحكم، بينما مينون طماع حريص جشع، في حين لا يرضى هيرو على حياته المعيشة، رغم بلوغه أعلى مراتب السلطة. وفي كل هذه الحالات يظهر مؤلف

من تقاليد فكرية متنوعة: المنظور الأوربي والأمريكي والشرق أوسط والصيني. ومداره على نمط ممارسة الزعامة عند ترامب، إيجاباً وسلباً، وإلى أي حد يبدي الرجل عن محاسن ومساوئ إمار رجل الدولة وإما الطاغية؛ علماً أن منقلب التفكير السياسي على النظر في هذين الأمرين.
ومن المبادئ المنهجية الراسخة في العلوم الإنسانية المبدأ التاريخي القائل بأن من شأن اللاحق أن ينير السابق، لكن يبدو أن مشروع هذا الكتاب قائم على الضد: من شأن السابق أن ينير اللاحق؛ إذ يسعى الكتاب إلى أن يكسب معنى للسياسة المعاصرة من خلال العودة إلى أعمال العديد من المفكرين السياسيين الماضين. وهكذا، فإنه بدل جعل ترامب يعيننا على فهم تاريخ الفلسفة السياسية، يجعل الفلسفة السياسية تفهم ترامب. وبهذا يسعى إلى أن يجعلنا نقرأ نجاح ترامب الانتخابي، في وهلة أولى، على ضوء أفلاطون ونقاشه مع السوفسطائيين، وأرسطو وكلامه عن الديماغوجية والغوغائية، وتوقيديس وذكره السفالة، وكونفوشيوس وإثارته مثال الرجال الثلاثة: القوي والصغير والوديع، والفارابي وحديثه عن المجتمع المفتوح (باب الفكر السياسي القديم والوسيط). وفي وهلة ثانية، نقرأ واقعة ترامب على ضوء مكيافلي وحديثه عن الإيالة، وشكسبير وكلامه عن الحاكم السيء، وروسو وإثارته موضوع الرجال الثلاثة: الوغد والوطني والانشققي، وعلى ضوء النزعة الدستورية الأمريكية من هاملتون إلى لينكولن (باب الفكر الأوربي الحديث). وفي وهلة ثالثة نقرأ ظاهرة ترامب على ضوء الفلسفة القارية: على ضوء ماكس فيبر وحديثه عن الكارزمانية والقيمة والرسالية السياسية، وعلى ضوء غرامشي وكلامه عن الحس العامي، وأخير على ضوء كارل شميت ومقولة: «أنا وحدي بمقدرتي أن أجد الحلول» وفكرة السيادة والوطنية. ويمكن تجميع الظواهر السياسية، المتعلقة بترامب، والتي يمكن تفسيرها على ضوء الفلسفة السياسية، في مفاهيم ثلاثة: مفهوم «الطبع»، ومفهوم «الزعامة»، ومفهوم «الخطابة»؛ بما يشي عن خطابة ترامب وديماغوجيته، من جهة، وعن طبعه وكيف يؤثر ذلك في المؤسسات الديمقراطية، من جهة أخرى.

المبادرة بالجواب عن هذا السؤال الأريتي هي موضوع هذا الكتاب. وهو رحلة ممتعة في تخيل ما يمكن أن يقوله فلاسفة السياسة الكبار عن رئيس لم يشغل أحد رؤساء أمريكا الناس في العالم بأجمعه أكثر مما فعل هو. ولربما لم يكتب لرئيس ولايات متحدة أن يكتب عنه، مباشرة بعد توليه الحكم، هذا الكم الهائل من الكتب: ما بين من ينشئ في «فضائحه»، ومن يحلل «سياسته»، ومن يذيع أسرار «حاشيته» و«حريمه»... والحال أنه لم يكن يُتصور أن يدلي فلاسفة جادون بدلهم في رئيس عدو بلا مدافعة، الأعبث في تاريخ البلاد.
أكثر من هذا، لم يكن يُتصور أن يترك الفلاسفة جديتهم ليعبثوا مع وبرئيس أمريكي ويتسلوا معه وبه؛ إذ الإكثار من الجدية ممل، ولا يمكن التسلي إلا مع رئيس «شعبي». نتذكر بهذا الصد لقاء الكاتب الألماني الكبير جوته مع الإمبراطور الفرنسي نابليون، وقول هذا له: كلا، ما عادت الأماسة الحديثة مسرحية تُولف، على نحو ما كان فعله الكتاب الإغريقي، وإنما أمست السياسة اليوم هي الأماسة التي يؤلفها رجال صبهم القدر على الناس. لكن، ربما ما عادت الأماسة اليوم ممكنة في السياسة، بل لربما تكون السياسة سائرة إلى الانقلاب إلى ملهارة.
يجمع هذا الكتاب بين دفتيه طائفة من المقالات الفلسفية ديجت بعد انتخاب ترامب رئيساً. وهو ما اعتبره الناشران، في تصديرهما للكتاب، بمثابة «تحذير جسيم»: أن تهتم الفلسفة برجل لا يهتم بكتب الفلسفة، وإنما كتاباه المفضلان، حسب تصريحه بنفسه، اثنان: التوراة وفن التفاوض. ينطلق الكتاب مما يسميه «الترامبية». نسبة إلى ترامب. وهي ممارسة سياسية تبحث لها عن نظرية ملائمة، ومثلما فعل الأمير بحذاء الساندريل، في الحدوثة المعروفة، يحاول الباحثون أن يقيسوا حذاء النظرية السياسية على رجل ترامب: أي نظرية فلسفية سياسية تعبر عن ممارسته السياسية على نحو أدق؟
تم تبويب الكتاب في ثلاثة أبواب: الفكر السياسي القديم والوسيط، والفكر السياسي الحديث والليبرالي (لا سيما منه الأنجلوسكسوني)، والفكر السياسي القاري (نسبة إلى قارة أوروبا الناطقة بغير الإنجليزية). ويريد الكتاب لنفسه أن يمتح